

تجليات نظريات ونماذج الإعلام والاتصال في أدبيات رواد علم الاجتماع

The manifestations of theories and model communication in the literature of pioneers
of Sociologyخالدي سعاد^{*1}¹ جامعة طاهري محمد بشار، souad.khalidi@univ-bechar.dz

تاريخ النشر: 2022/06/01

تاريخ القبول: 2022/02/16

تاريخ الاستلام: 2021/12/11

ملخص:

تسعى الباحثة من خلال هذه الدراسة، إلى البحث عن تجليات الإعلام والاتصال ونظريتهما بين ثنايا علم الاجتماع من خلال تفكيك أهم أفكار رواد علم الاجتماع أمثال: ابن خلدون، تالكوت بارسونز، أوغست كونت وكارل ماركس. إن التداخل العميق بين العلوم الإنسانية والاجتماعية تبدو واضحة من خلال إيجاد مظاهر علم لدى علم آخر، خاصة فيما تعلق بالمصطلحات حيث تسمى هذه الظاهرة بانزياح المصطلحات واكتسابها طابع مختلف في ظل الحقل العلمي الجديد، وهذا ما يصنع الاختلاف في المصطلحات من علم لآخر.

كلمات مفتاحية: علم الاجتماع، نظريات ونماذج علوم الإعلام والاتصال، ابن خلدون، تالكوت بارسونز، أوغست كونت، كارل ماركس، مدرسة فرانكفورت.

Abstract:

Through this study, the researcher seeks to find the manifestations of information and communication and their theories among the folds of sociology by deconstructing the most important ideas of sociologists such as: Ibn Khaldoun, Talcott Parsons, August Compt and Karl Marx.

The profound overlap between the human and social sciences appears clearly by creating aspects of science in another science, especially with regard to terminology, this phenomenon is called shifting terms which creates the difference in terminology from science to another.

Keywords: Sociology, Theories and models Science of information and communication, Ibn Khaldoun, Talcott Parsons, August Compt, Karl Marx.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يقال أن الفلسفة أم العلوم، منها تفرعت باقي العلوم الإنسانية والاجتماعية وحتى التطبيقية والعلمية. وهكذا توالى الإنزياحات من العلوم العريقة لتتفرع عنها علوم كثيرة، استقلت الآن واتخذت لنفسها مناهج ومواضيع وأساليب وكذا مصطلحات خاصة بها. ومن بين العلوم التي اعتمدها الباحثون في دراسة المجتمعات وطورها علم الاجتماع، الذي يعتبر من أعرق العلوم وأكثرها قربا من المجتمع وأفراده في دراسة سلوكهم واتجاهاتهم لفهم المجتمع وحركيته وبالتالي إمكانية التنبأ أو احتمالية توجيهه لمنحى معين، وكذا تقويم التغييرات غير المرغوبة التي تتعارض والإيديولوجية العامة السياسية، الإقتصادية، الثقافية، الاجتماعية وغيرها.

لقد عرف العالم قديما علم الاجتماع على أنه علم الاجتماع العام وكان رواده من الفلاسفة الذين يحللون الظواهر الاجتماعية من جميع النواحي، أي تتشابك وتتلاحم جميع العلوم لتفسير الظاهرة. إلى أن ظهرت فروع علم الاجتماع، وأضحت فيما بعد تخصصات قائمة بذاتها تفسر الظاهرة وفق المنظور المحدد المندرج ضمن التخصص، مثل: علم الاجتماع السياسي، علم الاجتماع الجريمة والانحراف، علم الاجتماع الثقافي، علم الاجتماع الإقتصادي، علم الاجتماع الديمغرافي، وكذا علم اجتماع الاتصال أو علم الاجتماع الإعلامي وهما التخصصان الأقرب إلى علوم الإعلام والاتصال .

وعليه: ماهي الخلفية الفلسفية لعلوم الإعلام والاتصال وما علاقتها بعلم الاجتماع؟ نحاول من خلال هذه الإشكالية البحث في العلاقة بين علم الاجتماع وعلوم الإعلام والاتصال من خلال تجليات هذا الأخير في أدبيات ابن خلدون، تالكوت بارسنز، أوغست كونت، وكارل ماركس.

2. العلاقة بين علم الاجتماع وعلوم الإعلام والاتصال:

إن مفهوم علم الاجتماع الاتصال يرتبط أساسا بالعلاقة بين علم الاجتماع والاتصال، حيث يعتبر علم اجتماع الاتصال فرعا من علم الاجتماع العام، حيث يدرس علم الاجتماع الظواهر الاجتماعية، والظواهر الاتصالية في الأصل ظواهر اجتماعية لأن الاتصال هو صيغة من صيغ التفاعل الاجتماعي من خلال تفاعل مرسل ومستقبل، أين

يتخذ هذا الأخير موقف من المرسل حيث يحاول المرسل التأثير في حياة الناس ومواقفهم، اتجاهاتهم، قيمهم ومعاييرهم وأنماط سلوكهم (الرأي العام، أنماط التفكير، بناء تصور اجتماعي للحياة الاجتماعية)، لهذا يعد أحد الظواهر الاجتماعية، وهذا ما أكده جيمس فاندنر زاندر وقال أن علم الاجتماع تفاعل اجتماعي يهتم في المقام الأول بما يحدث بين الناس من روابط اجتماعية، إذن هو العلم الذي يبحث في العلاقات و الروابط أو تغييرها وحلها، من أسرة، جماعات، مجموعات، القطاعات الدينية، العصابات والتنظيمات الكبرى (عودة، 1995، ص 16-17).

كما أن علم الاجتماع يدرس نماذج العملية الاجتماعية كالتعاون، التنافس، الصراع، التميز، التخصص، الثقيف والتوافق وكلها تقوم عبر الفعل الاتصالي وهي نظم كافة عناصر العملية الاتصالية.

والمجتمع يتميز بخاصية الحياة الاجتماعية فهو يولد، يكبر وينضج وفي أثناء هذه المراحل تتم عملية التنشئة الاجتماعية من خلال ترسيخ الثقافة، العادات، التقاليد، القيم، الأفكار والآراء، وكل هذه العمليات تتم بمساعدة العملية الاتصالية ووسائله، لهذا السبب يعد الاتصال ضروري لفهم سيرورة المجتمع ومعرفة العملية الاتصالية، مكوناتها، أهدافها ضروري في حقل علم الاجتماع، وفي هذا الشأن يقول محمد الجوهري أن التنشئة الاجتماعية "التنشئة الاجتماعية هي العملية التي تستهدف تأهيل الفرد للمشاركة في تشاط جماعة معينة عن طريق تعلم المعايير والأدوار التي تتوقعها الجماعة وتقربها" (الجوهري، 2008، ص 41).

إن الاتصال أحد أهم العوامل التي تحدث تغيرا في المجتمع فيستحيل دراسة الظواهر الاجتماعية دون الاتصال لأنه من محركاتها وأساس العمليات بين أفراد المجتمع كعملية التنمية مثلا.

كما أن العلاقة بين علم الاجتماع والاتصال تحدث في الجهة المعاكسة أيضا من خلال تأثير الظواهر الاجتماعية الأخرى على وسائل الاتصال والعملية الاتصالية.

كما أن علوم الإعلام والاتصال وبعض نظرياتها ظهرت في كنف علم الاجتماع والفلسفة من خلال بعض المرجعيات النظرية، لهذا تعتبر ملتقى العلوم، فالمدقق في نظريات وأفكار عمالقة علم الاجتماع أمثال ابن خلدون، تالكوت بارسنز، إيميل دوركايم،

أوغست كونت وكارل ماركس وغيرهم يستنبط الاتصال وعناصره بين ثنايا الفكرة لا محالة.

3. تجليات الاتصال في أدبيات ابن خلدون::

1.3 نبذة عن حياة ابن خلدون:



الصورة 1: صورة تخطيطية للفيلسوف ابن خلدون

إن خلدون واسمه الكامل أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن محمد بن خلدون، ولد بتونس سنة 1332 ميلادية و توفي بمصر عام 1406 ميلادي. ينتسب لأسرة يمنية بحضر موت، كان يمتن السياسة بتوليته مناصب وزارية وهذا بحكم قربه من بعض السلاطين بالمغرب واسبانيا، لكنه اعتزل السياسة بعدما سجن وتفرغ للكتابة، ورحل للقاهرة أين امتن مهنة القضاء (أحمد، 1983، ص9).

2.3 تفسير ظاهرة التقليد:

يرى ابن خلدون أن الإنسان في علم العمران البشري مولع بتقليد الغالب عن طريق المحاكات وهذا إيماننا منه بقوة الغالب وقدرته على التحكم في المغلوب، كما أن افتقاره للقوة وضعف شخصيته يحاول تعويضها بشخصية الغالب من خلال تقليد الأمور السطحية فيه، كأن يحاكي طريقة لباسه، أكله، حديثه فيحس أنه تقمص شخصية الغالب وأصبح غالبا مثله لكنه مجرد وهم ووعي مزيف.

ويقوم التأثير في الإعلام عن طريق تقليد الجمهور للمادة الإعلامية حسب ما جاء به ماكلوهان أين قال "الوسيلة هي الرسالة" للتعبير عن مدى تأثير التكنولوجيا في الفكر أو الفعل البشري، أي أنه يحاول ضبط علاقة سببية بين طبيعة المجتمع والتكنولوجيا

(رشتي، 1978، ص 372-373)، وقال عن التأثير كذلك عبد الرحمن "المرسل هو الرسالة"، في إشارة إلى طبيعة التأثير التي يتأثر بمدى قيمة الرسالة، حيث يفترض عزبي عبد الرحمن أن أهم معيار في تقييم الرسالة هو القيمة التي تنبع أساساً من المعتقد، وهذا ما يجعلها إيجابية لأن محتوياتها وثيقة الصلة بالقيم، في حين أنها تكون سلبية إذا لم تتقيد بالقيم أو تعارضت معها (بداني، 2014، ص 112-123).

3.3. تأثير العوامل البيئية، الاقتصادية، الجغرافية والحضارية في تفسير وفهم الظواهر الاجتماعية:

يقول ابن خلدون أن المجتمع يتأثر بالبيئة من خلال نوع الحرفة سواء كانت زراعة، صناعة، صيد أو تجارة في طبائعه وأخلاقه فمثلاً: اعتدال المناخ يؤدي إلى مجتمع معتدل، والمناخ الساخن يمتاز فيه المجتمع بالنشوة، الدعابة والمرح أما المجتمعات ذات المناخ البارد نجد أفرادها يتحفظون في اظهار عواطفهم، ويمتازون بالتدبير والإدخار. حتى أنه يرى استعصاء الأعراب البدو أو مكر اليهود لا يعود إلى أصولهم العرقية بل يرجع إلى نمط حياتهم وتاريخهم الماضي في ظل العوامل البيئية كالمناخ والغذاء (غدنروبيردسال، 2005، ص 56).

إن المتصل يأخذ بعين الاعتبار هذه المتغيرات في التعامل مع الجمهور في إطار دراسات الجمهور، لأنها تؤثر في عملية اتخاذ القرار عند حراس البوابة. إن الجمهور حسب جيهان رشتي هو العنصر الأساسي الأول لوسائل الإعلام الجماهيرية كنظام اجتماعي، فهو معقد ومتنوع وينتمي إلى طبقات متعددة متصلة ببعضها البعض في ظل متغيرات تحدد الدور الذي سيلعبه الجمهور في نطاق النظام. وتستدل رشتي بنظرية الاختلافات الفردية، الفئات الاجتماعية ونظرية العلاقات الاجتماعية لتفسير ميكانيكية أساليب العمل التي تحدد أنماط اهتمامات الجماهير وتفسير استجاباتهم لمضمون معين (رشتي، 1978، ص 231).

4.3: السلطة تحافظ على المجتمع، ترابطه، استقراره واستمراره:

يرى ابن خلدون أن السلطة تحقق الاتصال الفعال بين أفراد المجتمع من خلال عملية الضبط الاجتماعي أي تنفيذ سلطة القانون، العقاب والجزاء، والضبط الاجتماعي

كما يراه ميشيل فوكو هو حصيلة اشتراك مراكز عدة للسلطة وليس جهة واحدة وأحيانا تكون بطرق متناقضة (كريب، 1999، ص 334)، ومن بين هذه المؤسسات ما يعرف حاليا بالسلطة الرابعة إلى جانب السلطات الثلاثة الأخرى التي تتخذ أحيانا عملية الضبط الاجتماعي وظيفتها من خلال تسليط الضوء على الخروقات الاجتماعية، السياسية، الأخلاقية وغيرها وكذا مرافقة السلطة التشريعية في تبيان القوانين العامة وشرحها للجمهور حتى رأى سليمان صالح أن وسائل الإعلام تنوب عن المواطنين في حراسة المجتمع من إساءة استخدام السلطة وعبر عنها بوظيفة الرقابة على مؤسسات المجتمع (سليمان، 1994، ص 71-72).

ويقول ابن خلدون أن السلطة تتولد من القوة، والقوة توحد الأفراد، فالمجتمع الذي يمتاز بالعصبية وقوة القبيلة وتحكم شيوخها بهم، يكون لديهم قدوة وزعيم وقائد يقوده للتناغم والتجانس. بينما إن غاب الزعيم، غابت القدوة فيستحيل التحكم بالأفراد لكثرة الأهواء والآراء، فترى كل قبيلة أنها هي الأحق بالسلطة فتعم الفوضى.

إن القوة والسلطة تتحقق في الإعلام والاتصال بما يسمى قادة الرأي، الذين يوحدون المجتمع ويفرضون سيطرة نخبة معينة ويوحدون الجمهور إلى رأي عام واحد يحقق لهم القوة والسيطرة.

إن مفهوم قادة الرأي ظهر بعد تراجع نظرية التأثير المباشر أو ما يعرف بالقذيفة السحرية، وهذا عندما أكد لازارسفيلد بعد انتخابات عام 1940 في دراستين الأولى بعنوان "اختيار الشعب (1944)" مع زملائه برنار بريلسون وهازل غودي، والدراسة الثانية بعنوان "الدور الذي يلعبه الأفراد في تدفق وسائل الإعلام (1955)" مع زميله إلهو كاتز، أن سلوك الناخبين في مقاطعة إري في أوهيو لم يأت بوسائل الاتصال الجماهيري، وإنما وصلت المعلومة إليهم عبر مرحلتين، الأولى من وسائل الإعلام إلى قادة الرأي (Montgomery, Atta Bog, 2000, p.1563-1572) والثانية من قادة الرأي إلى الجمهور (ماتلار وماتلار، 2005، ص 58-59).

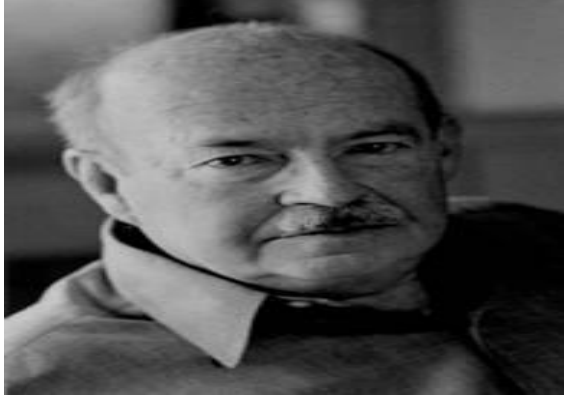
5.3: الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته وفطرته:

يرى ابن خلدون أن الإنسان قاصر على إشباع حاجاته بنفسه لذا لابد له من العيش مع الآخرين في وعاء اجتماعي للحصول على الغذاء، القوة، الحماية، والدفاع عن نفسه من أخطار البيئة.

إن الإعلام والاتصال يساهم في عمليات التماسك والتضامن الاجتماعي، فكلما زاد التضامن زادت التبعية وكلما قل التضامن زادت الاستقلالية، وهذا ما جاء به دوركايم في أول مؤلفاته تقسيم العمل في المجتمع سنة 1893، من خلال طرح موضوع التضامن الاجتماعي الآلي الذي يسود الأسرة التقليدية من خلال الروح الأبوية التي تولد شعورا جماعيا وهو ما يقابل الرأي العام في علوم الإعلام والاتصال وضميرا جماعيا أي الجمهور. فحسب دوركايم أن "الثقافات التقليدية التي ينخفض فيها مستوى تقسيم العمل تتميز بالتضامن العضوي. ويعود ذلك إلى أن أغلبية أعضاء المجتمع يكونون منخرطين في مهن متشابهة، وتربط بينهم تجربة مشتركة واعتقادات مشتركة أيضا. وتتسم هذه المعتقدات بقوة ضاغطة كابته، إذ تقوم الجماعة بإيقاع العقوبة بسرعة على من تسول له نفسه أن يتحدى طرائق الحياة التقليدية. ولن يكون ثمة مجال على هذا الأساس لانشقاق الفرد على الجماعة" (غدنر وبيردسال، 2005، ص 65). أما في المجتمعات المعقدة والمدن الصناعية الكبرى يكون التضامن الاجتماعي عضويا وهذا لضعف الروابط بين الأفراد وتعدد أهدافهم وآرائهم وبالتالي يصعب جمع الآراء في رأي عام واحد لانعدام القدوة وقادة الرأي. يقول دوركايم في هذا الصدد أن "قوى التصنيع والتحضر قد أدت إلى التزايد في تقسيم العمل،... فمع توسع تقسيم العمل يصبح الناس أكثر اعتمادا بعضهم على بعض، لأن كل فرد يحتاج إلى البضائع والخدمات التي يصنعها آخرون يعملون في مهنة أخرى. وتبدأ العلاقات الاقتصادية المتبادلة والاعتماد المتبادل بالحلول آنئذ محل المعتقدات المشتركة في إقرار الإجماع الاجتماعي" (غدنر وبيردسال، 2005، ص 65).

4. تجليات الاتصال عند تالكوت بارسنز:

1.4: نبذة عن حياة تالكوت بارسنز:



الصورة 2: صورة تالفيلسوف تالكوت بارسنز

ولد تالكوت بارسونز في كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1902، وتوفي عام 1979 بألمانيا، من رواد علم الاجتماع، عمل في هيئة التدريس بجامعة هارفرد. وضع بارسونز نظرية عامة لدراسة المجتمع سماها بنظرية السلوك، حلل أعمال دوركايم، وفيلفريدو باريتو وقيم مساهمتهما من خلال نموذج العمل التطوعي، وساهم كذلك في البحث والتعريف بأعمال ماكس فيبر.

اهتم تالكوت بارسنز بالنظام الاجتماعي في المجتمعات الحديثة ودرس وظائف النظام الاجتماعي من خلال:

2.4: التكيف أو المواءمة:

أي نظام اجتماعي له أهداف يريد تحقيقها ولتحقيقها يحتاج مجموعة من الوسائل تساعد على بلوغ هدفه، ويرى بارسونز أنه كلما اختلفت الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية يختلف التكيف فمثلا المدرسة تحتاج لمدرس ولوازم التدريس بينما المستشفى يحتاج أطباء وأدوية وهكذا.

والإنسان نموذج مصغر عن المؤسسة حيث تتحول المجموعات إلى مجتمع يحتاج وسائل لتحقيق رغباته، وإشباع حاجياته، ووسائل الإعلام والاتصال تحقق هذه الرغبة من خلال نظرية الحاجات والاشباع كالمعرفة مثلا.

إن نظرية الحاجات والإشباعات جاءت كرد على نظرية القذيفة السحرية، من خلال التأكيد على أن المتلقي ليس بالعنصر السلبي غير الفعال وإنما بل يختار بوعي وسائل الإعلام ومضمونها التي يرغبون في التعرض لها من حاجيات نفسية، اجتماعية، ثقافية، سياسية، دينية، اقتصادية، ترفيهية وغيرها (Carey، 1998، 28-34).

3.4: تحقيق الأهداف:

لا يكفي الحصول على وسائل في المؤسسات، بل يجب استخدامها بطريقة فعالة لتحقيق الأهداف بصورة حسنة، حيث وسائل الإعلام والاتصال تساعد الفرد على تحقيق أهدافه المتمثلة في تحقيق الحاجيات والرغبات والمثثلة أساسا في وظائف الإعلام والاتصال.

4.4: الاستئثار (الصيانة):

ويكون من خلال المحافظة على استمرار النظام من خلال تحفيز الأعضاء لأداء العمل بصورة جيدة، ولا يكون هذا إلا من خلال:

■ المحافظة على الوضع القائم: بتزويد الأفراد بالقيم الأساسية للثقافة السائدة في المجتمع والنظام الاجتماعي، حتى يتحقق الاستقرار ولا يحصل الصراع.

وهذا هو الضبط الاجتماعي المعنوي الذي يعد من وظائف وسائل الإعلام والاتصال في ترسيخ العادات، القيم، الأخلاق، الدين واللغة. أما في المؤسسات فيكون من خلال ترسيخ فكرة الانتماء للمؤسسة من خلال خلق هوية، ثقافة، لوغو، شعارات وسلوك في التعامل... لتجنب الأزمات والاحتجاجات والانقلابات.

والحديث عن فكرة الإنتماء هو الحديث عن وظائف القائم بالاتصال أو المكلف بالعلاقات العامة، التي تعد أحد فروع علوم الإعلام والاتصال، وهي الآن معتمدة كتخصص يندرج ضمن كلية الإعلام والاتصال في الجزائر، ودول أخرى كثيرة.

■ احتواء المعاناة: من خلال توفير الوسائل اللازمة للتغلب على المشكلات والضغوط الواقعة على النظام الاجتماعي، ويكمن في الاتصال من خلال اعتماد استراتيجية اتصالية فعالة لإدارة الأزمات.

إن بيرنيت تحدث عن مراحل احتواء المعاناة وهي ما أطلق عليها مفهوم استراتيجية العلاقات العامة لاحتواء الأزمة، من خلال صياغة الأهداف، تحليل البيئة، صياغة الاستراتيجية، تقييم الاستراتيجية، تنفيذ الاستراتيجية، التحكم الاستراتيجي للأغراض التحذيرية (Burnett، 1998، 475-488).

5. تجليات الاتصال عند أوغست كونت:

1.5: نبذة عن حياة أوغست كونت:



الصورة3: صورة للفيلسوف أوغست كونت

ولد أوغست كونت مونبلييه بفرنسا سنة 1798 وتوفي سنة 1857، اهتم بتدريس الرياضيات وعلوم الطبيعة، ومن أهم مؤلفاته دراسة في الفلسفة الوضعية، مذهب إلى السياسة الوضعية. كما أنه شارك سان سيمون كتابة مؤلف بعنوان خطة العمليات العلمية اللازمة لإعادة تنظيم المجتمع، وينسب لكونت أهم النظريات في علم الاجتماع وهي نظرية المراحل الثلاث.

2.5: الاستاتيكا الاجتماعية:

إن أوغست كونت درس المجتمع في حالتين، فيقول أن المجتمع إما يكون في حالة سكون أو استقرار في مرحلة معينة من دورة حياته وهي ما يطلق عليها الاستاتيكا الاجتماعية (أحمد، 1983، ص 14)، حيث يمكن للباحث في هذه المرحلة البحث في جزئيات المجتمع ومكوناته من نظم وقواعد سياسية، اجتماعية، أخلاقية، ثقافية، دينية وسياسية حت يتعرف أكثر على القوانين التي تحكم التضامن بين النظم الاجتماعية.

وللبحث في العلاقة بين الاستاتيكا الاجتماعية لكونت والاتصال نرى أنه من بين وظائف وسائل الإعلام والاتصال كمؤسسة من مؤسسات المجتمع الحديث المحافظة على استقرار المجتمع وسكونه من خلال الوقوف على الثوابت الاجتماعية وترسيخها لدى الجماهير، وهو الدور الذي يتعزز بباقي السلطات الثلاث. فالإعلام من وظائفه الضبط الاجتماعي سواء كان معنويا من خلال ترسيخ القيم، العادات، التقاليد، الدين ومرافقة المؤسسات الاجتماعية الأخرى في تعريف المجتمع بها أو مادي كالقوانين الوضعية وتسييل الضوء عليها وشرحها للعامة وفي الجهة الأخرى فضح التجاوزات لتتخذ السلطات المعنية كالنفيذية والقضائية إجراءاتها ضد المخالفين، ولم لا قد تتخذ السلطات التشريعية أحيانا مواقف بتغيير القوانين الوضعية بما يتناسب والوضع المستجد وفقا للأحداث. و لهذا قد عرف عن الإعلام أنه السلطة الرابعة لقوته في مراقبة محيط الأفراد حسب هارولد لازويل (Bertrand، 1999، 29-30) وكذا إحداث التغيير أحيانا أخرى في مراحل حركية المجتمع أو الديناميكا الاجتماعية حسب أوغست كونت.

وقد درس أوغست كونت الاستاتيكا الاجتماعية من خلال النظم الاجتماعية، البناء الاجتماعي، وعوامل ربط المجتمع، ولمعرفة العلاقة بينها وبين الاتصال علينا البحث عنه بين هذه العناصر الثلاث.

— النظم الاجتماعية: وتكمن العلاقة هنا في دراسة تأثير النظم الاجتماعية كالنظام السياسي، الإقتصادي، الثقافي، الاجتماعي وغيرها من النظم على الاتصال ووسائل الإعلام، فمثلا إن تطرقنا إلى النظام السياسي فهو يؤثر على الممارسة الإعلامية، لدرجة أن المتخصصين في دراسات الإعلام ربطوا النظام الإعلامي الممارس سواء كان حرا أم مقيدا بطبيعة النظام السياسي (محمد، 2004، ص 239-446)، وهذا ما نستشفه من خلال نظريات الإعلام كنظرية السلطة التي تمارس في المجتمعات ذات طابع استبدادي كالسلطنات والمملكات، نظرية الحرية التي تمتاز فيها الممارسة الإعلامية بحرية التعبير بدون قيود ونجدها في المجتمعات الديمقراطية، والنظرية السوفييتية في المجتمعات الاشتراكية التي تمتاز بالإنتماء السياسي للحزب الاشتراكي بالدرجة الأولى. أما فيما يخص الأنظمة

الإقتصادية فهي كذلك تأثر كثيراً على الإعلام خاصة وأن هذا الأخير لا يمكنه المضي قدماً دون تمويل مادي ضخم، وبطبيعة الحال تصبح الوسيلة الإعلامية خاضعة لتوجهات أصحاب القرار فيها، فنجد الصحف العمومية، الخاصة، المستقلة، الحزبية وغيرها.

ومن ناحية أخرى فإن وسائل الإعلام كذلك تؤثر في النظم الاجتماعية باعتبارها السلطة الرابعة وهذا ما تطرقنا إليه في العناصر السابقة.

- **البناء الاجتماعي:** إن المجتمع يتكون من أفراد، أسر، مؤسسات، دولة، نظم، وكلها تقوم على أساس التفاعل الاجتماعي الذي يعتبر الصيغة الأخرى للاتصال في علم الاجتماع، فالعناصر السابقة تترابط فيما بينها من خلال علاقات اجتماعية تقوم بفعل التفاعل الاجتماعي، كما لا يمكننا نفي كون المؤسسات الإعلامية مؤسسات تترجم بناء اجتماعي مستقل ذو تأثير فعال في المجتمع، فيدرس المختصون في علم الاجتماع وبالخصوص علم الاجتماع الإعلامي أطراف العملية الاتصالية من مرسل، متلقي، الرسالة، الوسيلة رجع الصدى ودورها في المجتمع.

- **عوامل ربط المجتمع:** ويحددها أوغست كونت من خلال اللغة المتمثلة في الثقافة المحلية وكذا الدين من عادات وتقاليد وإيمان، وهذه العوامل أساسية في صياغة الرسالة الإعلامية لتحقيق التأثير والإقناع وفهم الجمهور، فهي تحقق عملية الربط بين المجتمع وكل مؤسساته ومن بينها وسائل الاعلام.

- **تقسيم العمل:** ويمكن الاستدلال بأفكار دوركايم أين يحقق العمل التضامن الآلي أو العضوي وبالتالي فهم طبيعة المجتمع (تقليدي، حديث) تسهل عملية التعامل معه وتحديد أساليب وطرق الإقناع في الرسالة الموجهة إليه.

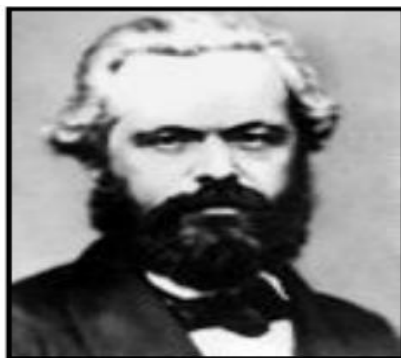
3.5: الديناميكا الاجتماعية:

قد يكون المجتمع في حالة استاتيكا لكنه في الواقع هو يتحرك ويتغير وفقاً للتطور والتغير الاجتماعي بوتيرة بطيئة يصعب ملاحظتها، فيطلق كونت على هذه المرحلة بمرحلة الديناميكا الاجتماعية (أحمد، 1983، ص14) أين يدرس فيها قوانين الحركة الاجتماعية

والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها. وبالتالي فهو يحاول البحث في انتقال المجتمعات من حالة لحالة أخرى. إن الديناميكا الاجتماعية تدرس العوامل المؤثرة في تغير المجتمع، والإعلام بعد من أهم وسائل القرن الواحد والعشرين في فرض التغيير في المجتمعات، حيث نرى أن الثورات الأخيرة التي عرفت بالربيع العربي هي في حقيقة الأمر مظهر من مظاهر التغيير الاجتماعي الذي يسعى لتسريع عملية التغير الاجتماعي. ويرجع الأمر في اكتشاف الدور الفعال لوسائل الإعلام في فرض حراك اجتماعي نحو هدف معين وهو غالبا ما يكون مرتبطا بإيديولوجية معينة إلى دراسة ولبر شرام سنة 1962 المعنونة بـ "الإعلام والتنمية الوطنية" (إحدادن، 2007، ص 83-87) وهذا لتسريع وتيرة التنمية في الدول النامية باستخدام وسائل الإعلام لتحفيز المجتمعات على تبني سياسة تنموية جديدة تدفع بعجلة الدول نحو التطور، الرقي والإزدهار.

6. 5 تجليات الاتصال عند كارل ماركس:

1.6: نبذة عن حياة كارل ماركس:



الصورة 4: صورة للفيلسوف كارل ماركس

ولد كارل ماركس في تيرير بألمانيا سنة 1818 وتوفي سنة 1883. اهتم منذ صغره بالشعر والفلسفة، فقد ترعرع في أسرة مثقفة فقد كان والده محاميا. تحصل ماركس على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة جينا. عين ماركس معيدا في الجامعة بألمانيا لكن

سرعان ماهاجر منها بسبب أفكاره الهيجيلية إلى باريس في سن الخامسة والعشرين ثم بروكسل ليستقر أخيرا في بريطانيا.

تزامن ماركس مع الفيلسوف فريدريك أنجلز فأسسوا الماركسية التي تقوم على الفلسفة المادية التي تشكل . حسبه . أساس علم الاجتماع، فمن المسلمات الماركسية أن الحتمية الإقتصادية أو العامل الإقتصادي هو المحدد الأساسي لبناء المجتمع وتطوره (شهاب، 2020).

2.6: الفلسفة الماركسية ومدرسة فرانكفورت:

إن الحديث عن مدرسة فرانكفورت هو الحديث عن الوجه الاتصالي للفلسفة الماركسية في المجتمع الرأسمالي، وللبحث في أوجه التشابك والتداخل بينهما يجدر بنا تفحص الخلفية التاريخية، المنطلق الأساسي لأفكار مدرسة فرانكفورت أو ما يطلق عليها بالنظرية النقدية التي جاءت لنقد المجتمع الرأسمالي والهيمنة على وسائل الإعلام.

إن مدرسة فرانكفورت تأسست طرف سنة 1923 بألمانيا، من ماكس هوركايمر، ثيودور أدورنو وماركوس نسبة لمعهد الدراسات الاجتماعية بفرانكفورت (محمد، 2004، ص 212)، لكنهم نقلوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية أين انظموا إلى قسم علم الاجتماع بجامعة كولومبيا، ونقدوا المجتمع الجماهيري في عقرداره.

كان هؤلاء الثلاثة ينتمون بأفكارهم إلى معلمهم الروحاني كارل ماركس لكنهم تحرروا من الوهم الشيوعي في استحالة القضاء على الطبقات الاجتماعية، خاصة بعدما اندلعت الحربين العالمية الأولى والثانية وانهارت الثورة البلشفية وسقط المعسكر الشيوعي رغم أنه حقق المساواة بين الطبقات.

3.6: الخلفية الماركسية وصراع ملاك الرأسماليين في وسائل الإعلام:

إذن درس رواد مدرسة فرانكفورت المجتمع الجماهيري انطلاقا من خلفية أو معتقدات شيوعية ضمن النظرية الشيوعية الماركسية ومبادئها المتمثلة في الصراع الطبقي والحتمية في التغيير، إذ يرى ماركس أنه لا يوجد تغيير في التاريخ إلا إذا حدث صراع بين طبقات المجتمع البلوريتاريا والبرجوازية، حيث سيادة الفرد امتدت إلى امتلاك وسائل الإنتاج سواء المادي أو الفكري وهذا لتوجيه الفرد حسب رغبته. أما حسب مدرسة فرانكفورت فالصراع في المجتمع الجماهيري قائم لكن ليس بين الطبقات الاجتماعية وإنما

في السلع أي المنتج وبين الرأسماليين الملاك لهذه السلع. وإن الصراع الطبقي زال مع الوعي التاريخي لما اكتسبه الفرد من تراكمات تاريخية عبر العصور. وبهذا تحول فإن الصراع الطبقي البرجوازي تحول إلى صراع سلعي إنتاجي وصل لحد الهمجية والثقافة الجماهيرية بمساعدة وسائل الإعلام التي أنتجت ثقافة نمطية استهلاكية سلعية مزيفة من خلال نشرها الوعي المزيف على أنه ما ينبغي أن يكون، ولكن بمجرد إرادة من المنتج تغيير نمط الحياة فهو يغير نمط السلعة وبمعنية وسائل الإعلام يتغير الوعي المزيف القديم إلى وعي مزيف جديد.

4.4: الثقافة الجماهيرية: حصيلة السيادة الفردانية

إن الممارسة الفردانية لوسائل الإعلام جعلت الفرد يفقد فردانيته وأصبحت قيمته في ظل الجماعة فقط بحكم الوجود الاجتماعي، فالرأسمالي حسب المدرسة هو من يفكر في مكانه ويفرض عليه ما يستهلكه ونمط معيشته. هكذا أصبحت وسائل الإعلام بحكم النظام الإعلامي الذي سبق وتحدثنا عنه تنشر ثقافة المرسل أي المسيطر على وسائل الإعلام، كتعبير عن إيديولوجية متضمنة في نمط الإنتاج وليس البنية التحتية الإقتصادية كما جاء بها كارل ماركس، في شكل ثقافة جماهيرية لكل الجماهير دون الاهتمام بالفروقات الفردية من سن، جنس، عوامل نفسية، اجتماعية، سياسية، إقتصادية وغيرها، وهذا مارجح لفكرة العولمة التي جاء بها هارولد لازويل.

نتيجة لما سبق أصبح الفرد عاجزا عن مواجهة الزخم المعلوماتي أو التدفق المعلوماتي الناتج عن صراع وتنافس بين ملاك وسائل الإعلام للسيطرة أكثر على عقول الجمهور، فأصبح يستهلك كل ما يرسل إليه دون نقد وتمحيص حتى يقول رواد مدرسة فرانكفورت أن المتلقي سقط في فخ التسليع أو ما يعرف بصناعة الثقافة، وفقدت الثقافة الريفية المستوى وجردت من محتواها النقدي وقيمتها الأدبية وتفهمت في قالب التسليع حتى أصبحت ثقافة تضحل حسب آراء و عملية التنميط التي يقوم بها الرأسمالي في مجتمع جماهيري.

7. خاتمة:

تعرف علوم الإعلام والاتصال بأنها ملتقى العلوم، فهي بحكم أنها تدرس العلاقات بين الأفراد وفي ظل الجماعات، أي التفاعل الاجتماعي نجدها في مختلف التخصصات والعلوم الأخرى، وهذا إن كان يعيق أحيانا وتيرة البحث الأكاديمي بحكم ارتباط الظاهرة الاتصالية بفروع متشعبة لدى باقي التخصصات، فهو نتاج أصول النظريات الاتصالية وفلسفتها التي تتفرع من الفلسفة العامة لعلم الاجتماع الذي لا يحيد عن الفلسفة في حذ ذاتها.

كذلك لا يمكن نفي الإرتباط الوثيق في دراسة عناصر العملية الاتصالية بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، فلا يمكن فهم سلوك الفرد دون الرجوع إلى علم النفس، علم الاجتماع، علم الإقتصاد وعلم السياسة، كما يستحيل كذلك صياغة الرسالة الإعلامية دون البحث في مكانن الأدب ودروبه.

8. قائمة المراجع والمصادر:

أ- باللغة العربية:

1. أحمد رأفت. عبد الجواد. (1983). مبادئ علم الاجتماع. القاهرة: مكتبة نهضة الش.
2. أحمد رأفت. عبد الجواد. (1983). مبادئ علم الاجتماع. القاهرة: مكتبة نهضة الشرق.
3. إحدادن. زهير. (2007). مدخل لعلوم الإعلام و الاتصال. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية .
4. الجوهري. محمد. (2008) المدخل إلى علم الاجتماع. مصر: دارالمعرفة الجامعية.
5. بداني. فؤاد. (2014). حتمية ماكلوهان لفهم قيمية عزى عبد الرحمن. مجلة الدراسات و البحوث الاجتماعية. ع4.
6. رشتي. جيهان أحمد. (1978). الأسس العلمية لنظريات الإعلام. القاهرة: دار الفكر العربي للطباعة والنشر.
7. رشتي. جيهان أحمد. (1978). الأسس العلمية لنظريات الإعلام. القاهرة: دار الفكر العربي للطباعة والنشر.
8. سليمان صالح. (1994). مقدمة في علم الصحافة. القاهرة: دار النشر للجامعات.

9. شهاب. محمد. (2020) رواد علم الاجتماع. المتواجد على: <https://www.kutub-pdf.net>. 2020/06/24 على الساعة 13:25.
10. عودة. محمود. (1995). أسس علم الاجتماع. مصر: ط1. دار النهضة العربية.
11. غدنز. أنتوني وبيردسال كارين. (2005). علم الاجتماع مع مدخلات عربية (ترجمة فايز الصياغ). لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
12. غدنز. أنتوني وبيردسال كارين. (2005). علم الاجتماع: مع مدخلات عربية (ترجمة فايز الصياغ). لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
13. كريب. إيان. (1999). النظرية الاجتماعية: من بارسونز إلى هابرماس (ترجمة محمد حسين غلوم، مراجعة محمد عصفور). الكويت: عالم المعرفة.
14. ماتلار. أرمان و ماتلار. ميشال. (2005). تاريخ نظريات الاتصال (ترجمة نصر الدين العياضي و الصادق رابح). لبنان: المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية.
15. محمد. عبد الحميد. (2004). نظريات الإعلام واتجاهات التأثير. القاهرة: عالم الكتب.
16. محمد. عبد الحميد. (2004). نظريات الإعلام واتجاهات التأثير. القاهرة: عالم الكتب.
- ب- باللغة الأجنبية:

1. Bertrand. Claude jean.(1999). **Média : Introduction a la presse, la radio, et la télévision**, Ellipses.
2. Borgatta. Edgar F & Montgomery. Rhonda. J.V.(2000). **Encyclopedia of Sociology volume3**. USA: Macmillan Reference. 1563-1572.
3. Burnett. John. (1998). **A stratigic approach to managimg Crises**. Public relation review. 24 (04).
4. Carey, J. W. (1998). **The Internet and the end of the National Communication System: Uncertain predictions of an uncertain future**. (Journalism and Mass Communication Quarterly, 75 (1).
5. Katz, Lazarsfeld (1955)., **Personal influence**, Free Press, New York.
6. **Lazarsfeld, Bernard Berelson Paul F, Hazel Gaudet (1944), The people choose: how the voter makes up his mind in a presidential campaign**, Columbia University Press.